

مُعْتَصِرُ الْفَوَائِدِ

على
الأربع القواعد

كتبه

أبو عبد الرحمن
خليل بن عبد الله بن أحمد الحمادي

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا،
وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فإنَّ مما امتن الله به على هذه الأمة أن قيَّض لها من يجدد لها أمر دينها كلما جاءت
فترة على الناس ضعف فيها تعلقهم بالله، وقلَّت بصيرتهم بمعرفة ربهم وبأمر
دينهم، فيهيئ الله برحمته من يقوم بتجديد معالم هذا الدين وتعليم الناس كما قال
ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا". (١)

وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْمُجَدِّدِينَ الْإِمَامَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْوَهَّابِ النَّجْدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى
وَرَحِمَ جَمِيعَ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ الْعَامِلِينَ بَكِتَابِهِ وَبِسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، الدَّاعِينَ إِلَى اللَّهِ عَلَى
بَصِيرَةٍ، فَقَدْ نَفَعَ اللَّهُ بِهِ نَفْعًا عَظِيمًا وَأَحْيَا اللَّهُ بِهِ كَثِيرًا مِنْ مَوْتَى الْقُلُوبِ، وَشَفَى اللَّهُ
عَلَى يَدَيْهِ كَثِيرًا مِمَّنْ صَرَعَهُمُ الشَّيْطَانُ وَأَغْرَقَهُمْ فِي بَحَارِ الشَّرْكِ وَظُلُمَاتِهِ، وَمَا يَزَالُ

(١) (صحيح) رواه أبو داود (١٧٨ / ٤) عن أبي هريرة وصححه الألباني في سنن أبي

الناس ينتفعون بمؤلفاته التي خلفها بعد موته مما كان لها أثرٌ عظيم في انتفاع الناس بها.

ومن هذه الرسائل الصغيرة لـهي رسالة القواعد الأربع، التي على صغر حجمها فقد جمعت قواعد يفهم بها العامي -الذي يبتغي معرفة الهدى والحق- فضلاً عن طالب العلم ما أشكل عليه والتبس في أمر الشرك والمشركون في زماننا هذا. وكان مما منَّ الله عليَّ أن جعلت عليه شرحاً ميسراً مقتبساً من كلام أهل هذا الشأن من المتقدمين والمتأخرين، وليس لي فيه سوى الجمع من كلام أهل العلم وممن شرح هذه القواعد، وأسأل الله أن يجزي خيراً كل من رام نفع الناس وتعليمهم أمر دينهم، وتبصيرهم في أمر معتقدهم.

وأسأله سبحانه أن يرزقنا الإخلاص والقبول وأن يجعل لنا أثراً من عمل صالح يبقى لنا بعد موتنا، وأن ينفعنا بما نقول وبما تسطره الأيدي، وأن ينفع سبحانه بهذا الشرح المختصر وبصاحبه.

وأن يتولانا بولايته وأن يعفو عنا وأن يغفر لنا سوء أعمالنا، وما حاك في صدورنا مما لا يرتضيه سبحانه، وأن يوفقنا سبحانه وتعالى للتوبة من ذنوبنا، وأن يجزي خيراً كل من أعان على نشر مثل هذه الكتيبات.

إنَّه ولي ذلك والقادر عليه. والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

القواعد الأربع

القواعد: جمع قاعدة، وهي في اللغة أساس الشيء، ومنها قواعد البيت أي

أساساته. اهـ^(١)

وفي الاصطلاح: قواعد كلية تدرج تحتها جزئيات كثيرة.

والمقصود بها هنا: قواعد كلية تعين على فهم التوحيد فهمًا صحيحًا.

ومضمون هذه القواعد الأربع التي ذكرها الشيخ رحمه الله تتلخص في أمرين:

١. معرفة التوحيد ومعرفة الشرك.

٢. ما هي القاعدة في التوحيد؟ وما هي القاعدة في الشرك؟



(١) شرح قاعدة في التفسير للعلامة العثيمين رحمه الله ص ٧

بسم الله الرحمن الرحيم

أَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَتَوَلَّأَكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَنْ
يَجْعَلَكَ مَبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مَنَّ إِذَا أُعْطِيَ شُكْرًا، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبْرًا، وَإِذَا
أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ.

قوله: بسم الله الرحمن الرحيم:

افتتح رحمه الله هذه الرسالة بالبسملة كما هو حاله في كثير من رسائله.
وابتداً رحمه الله رسالته بالبسملة كما هو شأن أهل العلم في كثير من مختصراتهم
لأُمُور يذكرها أهل العلم ومنها:

١. اقتداءً بالكتاب العزيز؛ حيث بُدئ بالبسملة.
٢. تأسيساً بالنبي ﷺ في مكاتباته ومراسلاته؛ فقد روى البخاري في صحيحه أن
النبي ﷺ بعث بكتاب يقول فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله..."
الحديث^(١).

وهو شأن أهل العلم المتقدمين كما صنع البخاري في صحيحه فقد افتتحه بقوله:
"بسم الله الرحمن الرحيم كتاب بدء الوحي".

٣. البداءة بها للتبرك والاستعانة على ما يهتم به.
- واقصر على البسملة لأنها من أبلغ الثناء والذكر.

(١) رواه البخاري باب بدء الوحي برقم (٧)

فيكون التقدير بسم الله أولف حال كوني مستعينا بذكره متبركاً به.

قوله: أسأل الله الكريم ربّ العرش العظيم أن يتولّاك في الدنيا والآخرة:

هذا دعاء منه لطالب العلم الذي يبتغي التعلم والتفقه ومعرفة أمر دينه، وفيه دلالة على أمرين:

١. شفقة ورحمة أهل العلم بالناس ومحبتهم لهم الخير، سواء كانوا طلبة علم أو من عوام الناس.

٢. أنّ الدعاء معينٌ للعالم والمتعلم في العلم والدعوة، ويدل على ذلك دعاء النبي ﷺ لابن عباس: "اللَّهُمَّ فَتِّهِهِ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ". (١)

قوله يتولّاك:

وَلَايَةَ اللَّهِ تَعَالَى لِعَبْدِهِ نَوْعَانِ: عَامَّةٌ، وَخَاصَّةٌ:

الْوَلَايَةُ الْعَامَّةُ: هِيَ وَلَايَةُ كُلِّ مُؤْمِنٍ، فَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا، لِلَّهِ تَقِيًّا، كَانَ اللَّهُ لَهُ وَلِيًّا. وَفِيهِ مِنَ الْوَلَايَةِ بِقَدْرِ إِيْمَانِهِ وَتَقْوَاهُ.

وَالْوَلَايَةُ الْخَاصَّةُ: هِيَ الْقِيَامُ لِلَّهِ بِجَمِيعِ حُقُوقِهِ، وَإِثَارُهُ عَلَى كُلِّ مَا سِوَاهُ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، حَتَّى تَصِيرَ مَرَاذِي اللَّهِ وَمَحَابُّهُ هِيَ هَمُّهُ وَمُتَعَلِّقَ خَوَاطِرِهِ، يُصْبِحُ وَيُمِيزُ وَهَمُّهُ مَرْضَاةَ رَبِّهِ وَإِنْ سَخِطَ الْخَلْقُ. (٢)

(١) (صحيح) رواه أحمد في مسنده (٢٣٩٧) عن ابن عباس.

(٢) انظر بدائع الفوائد (٣/ ١٠٦).

والمراد بدعاء الشيخ رحمه الله الثاني بدليل ما بعده.

قوله: وأن يجعلك مباركاً أينما كنت:

المبارك: هو الذي يُتَمَنَّى به حيثُما حلّ، وذلك لا يكون إلا إذا قُرِبَ العبد من ربّه، ومنّ الله عليه وتفضّل بتقريب عبده منه؛ فيبارك الله في وقته فيعمل أعمالاً كثيرةً في زمنٍ يسير، ويبارك الله في قليل عمله فيكثر نفعه ويتتابع أثره. فأسأل الله أن يجعلني وإياكم من هؤلاء المباركين.

وقوله: وأن يجعلك ممّن إذا أُعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب

استغفر، فإنّ هؤلاء الثلاث عنوان السعادة.

هذه الأمور الثلاثة عنوان سعادة العبد، وعلامة فلاحه في دنياه وآخره، ولا ينفك عبداً عنها أبداً. فإنّ العبد دائم القلب بين هذه الأطباق الثلاث.

الأول: نعم من الله تعالى تترادف عليه فقيدها (الشكر).

وهو مبني على ثلاثة أركان:

١. الاعتراف بها باطناً.
 ٢. التحدث بها ظاهراً.
 ٣. تصرّفها في مرضاة وليها ومسديها ومعطيها.
- فإذا فعل ذلك فقد شكرها مع تقصيره في شكرها.

الثاني: محن من الله تعالى يبتليها بفرضه فيها (الصبر) والتسلي.

والصبر يكون على ثلاثة أمور:

١. حبس النفس عن التسخط بالمقدور.
 ٢. حبس اللسان عن الشكوى.
 ٣. حبس الجوارح عن المعصية كاللطم وشق الثياب وترف الشعر ونحوه.
- فمدار الصبر على هذه الأركان الثلاثة؛ فإذا قام به العبد كما ينبغي انقلبت المحنة في حقه منحة واستحالت البلية عطية وصار المكروه محبوبا.

الثالث: ذنوب وسيئات تحتاج إلى توبة واستغفار ورجوع إلى الله.

قال سبحانه في وصف المتقين: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا الذُّنُوبَ مِنْهُمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٥].

وقال جلّ جلاله: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [سورة النساء: ١٧].

فمن تم الله له هذه المنقبة وهي المسارعة إلى التوبة من كل ذنب، مع مجاهدة النفس على الأمرين الأولين، فقد أفلح وكان من السعداء في الدنيا والآخرة.

المقدمة الأولى

اعلم أرشدك الله لطاعته: أن الحنيفية ملّة إبراهيم: أن تعبد الله مخلصاً له الدين كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) [سورة الذاريات: ٥٦].

هذه المقدمة الأولى بين يدي القواعد الأربع.

وفيهما بيان معنى الحنيفية والحكمة من خلق الخلق.

قوله: اعلم أرشدك الله:

الرُّشْدُ هو: الصَّالِحُ وَإِصَابَةُ الصَّوَابِ وَالِاسْتِقَامَةُ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ مَعَ تَصَلُّبٍ فِيهِ، وَهُوَ خِلَافُ الْغَيِّ وَالضَّلَالِ.

والمعنى: هداك الله ووفقك للرشد، وهو: العلم النافع والعمل الصالح.

قوله: لطاعته: الطَّاعَةُ هِيَ الْإِثْيَانُ بِالْمَأْمُورِ بِهِ وَالِانْتِهَاءُ عَنِ الْمُنْهْيِ عَنْهُ. (١)

والمعنى: الدعاء للعبد أن يكون منقاداً لأوامر الله منتهياً عن نواهي الله، وهذا

مما يوفق الله العبد له وبه، ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (٨٨) [سورة هود: ٨٨].

فمن هداه الله وفقه للعمل، ومن وفقه للعمل هداه بذلك العمل إلى طريق

الرشاد والفلاح، فكان من الفائزين.

(١) فتح الباري لابن حجر (١٣ / ١١٢).

قوله: أن الحنيفية ملة إبراهيم:

الحنيفية: مأخوذة من الحنف وهو الميل لأنها مالت عن جميع طرق الضلال إلى الطريق الذي رضىه الله جل وعلا.

وهي ملة إبراهيم الخليل عليه السلام، وهي التي أوحى إلى محمد عليه الصلاة والسلام أن يتبع ملته كما قال جل وعلا: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة النحل: ١٢٣].. (١)

وهذه الملة تقوم على أصليين عظيمين:

الأول: الإخلاص لله تعالى.

الثاني: أن لا يتعبد لله إلا بما شرعه سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ.

أشار إلى ذلك بقوله: أن تعبد الله مخلصاً له الدين.

فقوله: أن تعبد الله: أي بما شرعه ربنا سبحانه وتعالى لعباده وهو الذي أرسل

الله عز وجل به نبيه ﷺ، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ

فَاتَّبِعَهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الجاثية: ١٨].

(١) شرح فضل الإسلام للشيخ صالح آل الشيخ (ص: ٣٨).

وقوله: مخلصاً له الدين:

أي: أخلص الله تعالى جميع دينك، من الشرائع الظاهرة والسرائع الباطنة: الإسلام والإيمان والإحسان، وذلك بأن تفرد الله وحده بها، وتقصد به وجهه، وتخلص عبادتك من جميع أنواع الشرك صغيرها وكبيرها. وهذا هو أصل التوحيد.

وهي أصل دعوة إبراهيم عليه السلام وسائر الأنبياء، قال الله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٣٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴿٣٧﴾﴾ [سورة الزخرف: ٢٦-٢٧]. وهذه معنى كلمة التوحيد: "لا إله إلا الله" وتفسيرها.

قوله: كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٦٦﴾:

هذه الآية جمعت بين الأمرين:

الأول: الدعوة إلى إخلاص العبادة بقوله سبحانه: ﴿أَيُّ لِيُوحِدُونَ وَلِيُخْلِصُوا﴾ العبادة لله وحده.

والثاني: أن لا يتعبد لله إلا بما شرعه سبحانه: دليله أيضاً قوله سبحانه: ﴿فَهُوَ﴾ الذي شرع لعباده العبادة وهو الذي شرع لهم كيف يتعبدونه وبماذا يتعبدونه، فلا يتعبد لله بغير ما شرع.

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (١/ ٣٦٥):

" دِينَ الْإِسْلَامَ مَبْنِيٌّ عَلَى أَصْلَيْنِ: عَلَى أَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ وَعَلَى أَنْ يُعْبَدَ بِمَا شَرَعَهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَذَانِ هُمَا حَقِيقَةُ قَوْلِنَا: " أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ". اهـ

يتلخص الكلام من هذه المقدمة:

١. أن نعلم الحكمة من خلقنا وهي عبادة الله سبحانه وتعالى.
٢. أن الملة التي أمرنا باتباعها والسير عليها هي الملة الحنيفية السمحة وهي ملة إبراهيم.
٣. أن العبادة التي أمرنا بها لها شرطان رئيسيان لا تتحقق العبادة إلا بهما وهو الإخلاص لله تعالى، وألا يتعبد لله إلا بما شرعه سبحانه لنبيه.
٤. أنه ما لم تكن العبادة على الإخلاص، فقد دخل عليها الشرك.
٥. أن المقصود بالعبودية في قوله سبحانه: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾ هي العبودية الخاصة، وهي العبودية المستلزمة للطاعة والمحبة واتباع الأوامر.



المقدمة الثانية

قوله: فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته فاعلم: أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلى مع الطهارة، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت كالحديث إذا دخل في الطهارة.

قوله: فإذا عرفت: المعرفة هي إدراك الشيء بتفكير وتدبر وهي مسبوقة بجهل.

(١)

والمعنى: فإذا عرفت بعد تدبرك وتفكيرك لما سبق؛ أن الله خلقك لعبادته:

عرفت هذا من قول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦). وعرفت أن العبادة هي المقصودة من الوجود، وأن الله إنما خلقنا لعبادته، وسخر لنا ما في السموات وما في الأرض جميعاً لنستعين به على طاعته سبحانه، كما قال الله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١٣) [سورة الجاثية: ١٣].

قوله: فاعلم: أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد:

فالتوحيد أساس العبادة، وشرط لقبول العمل، فلا يقبل الله من العمل إلا ما كان معه توحيد صحيح.

(١) انظر التعاريف للمناوي: ٥١١، التعريفات: ٢٨٣، بصائر ذوي التمييز (٤ / ٤٧).

قال شيخ الإسلام:

وذلك أن توحيد الرسل والمؤمنين هو: عبادة الله وحده، فمن عبد الله وحده لم يُشرك به شيئاً: فقد وحّده، ومن عبد من دونه شيئاً من الأشياء فهو مشرك به، ليس بموحد مخلص له الدين. اهـ^(١)

فكل عبادة لا توحيد فيها ليست بعبادة شرعية، فمن لم يوحد الله لعبادته لا تصح، ولا يؤجر عليها ولا تسقط الواجب من ذمته.

والمقصود بالتوحيد أن تعبد الله وحده ولا تشرك في عبادتك مع الله أحداً، فمن صرف نوعاً من أنواع العبادة لغير الله فقد أشرك؛ ومن أشرك مع الله غيره ردت عليه جميع أعماله، قال الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة الزمر: ٦٥]، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٨٨].

"فالمشركون كانت لهم عبادات، كانوا يحجون، وكانوا يتصدقون، وكانوا يطعمون الأضياف، وكانوا يكرمون الجيران، ولهم أعمال لكنها ليست مبنية على التوحيد، فهي هباء منثور، لا تنفعهم شيئاً يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [سورة الفرقان: ٢٣].

وقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾ [سورة النور: ٣٩].

(١) بيان تلبيس الجهمية (١/ ٤٧٨).

وقال سبحانه: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [سورة إبراهيم: ١٨]. فلا يُبْنَى الأعمال إلا التَّوْحِيدُ. (١)

قوله: كما أنَّ الصلاة لا تسمى صلاة إلى مع الطهارة

وذلك لأن الطهارة شرط في صحة الصلاة لقول النبي ﷺ: "لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ". متفق عليه عن أبي هريرة.

وقد انعقد إجماع المسلمين على هذا، والأمر فيه معلوم من الدين بالضرورة.

قال شيخ الإسلام:

الطهارة واجب للصلاة بالكتاب والسنة والإجماع، فرضها ونفلها. اهـ (٢)
فمن صلى بغير طهارة من الحدث، فصلاته باطلة وغير صحيحة، ولا تبرأ ذمته بها.

فلو أن رجلاً صلى صلاة عظيمة يطيل فيها القيام، ويطيل فيها الركوع، ويطيل فيها السجود، ويحسنها جداً، وقد دخل فيها على غير طهارة هذه صلاة غير مقبولة بالإجماع؛ لأنَّ الطهارة شرط صحة الصلاة.
فكذلك العبادة بدون توحيد.

(١) إغاثة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/ ٥٩)

(٢) "مجموع الفتاوى" (٢٦٨/٢١)

وهذا المثال الذي ذكره الشيخ: مثال تقريبي وإلا فإنَّ شرط الإخلاص والتوحيد لقبول العبادة أعظم من شرط الطهارة لقبول الصلاة؛ لأنه إذا صلى محدثاً متممدا فإنَّ في تكفيره خلاف بين أهل العلم، وأما إذا عبد الله مشركاً؛ فإنه بالإجماع ليس مقبول العبادة، وبالإجماع هو كافر لأنَّه أشرك بالله جل وعلا الشرك الأكبر الذي لا يقبل معه عمل. (١)

قوله: فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت:

المراد به الشرك في الألوهية، وهو أن تجعل لله شريكاً في عبادتك، والمقصود به الشرك الأكبر.

فالشرك شركان:

شرك أكبر: وهو أن يصرف العبد نوعاً أو فرداً من أفراد العبادة لغير الله. فكل: اعتقاد، أو قول، أو عمل ثبت أنه مأمور به في الشرع فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص، وصرفه لغيره شرك وكفر. وهو المراد هنا. **الشرك الأصغر:** وهو كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر. (٢)

قوله: كالحديث إذا دخل في الطهارة: أي: فإنه يفسدها مهما كانت الطهارة مجودة محسنة.

(١) شرح الشيخ صالح آل الشيخ للقواعد الأربع (ص: ٧)

(٢) انظر: القول السديد في مقاصد التوحيد، للعلامة السعدي، (ص ٣١، ٣٢)

فكما أنَّه لا تقبل صلاة بغير وضوء، فلا يُقبل عملٌ مع الشرك، فالتوحيد شرط لقبول الأعمال.

يتلخص الكلام من هذه المقدمة:

١. أَنَّ بَابَ تَوْحِيدِ الْإِلَهِيَّةِ هُوَ تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ.
فإنَّ العبد إذا أقرَّ بتوحيد الربوبية وأنَّ الله هو الذي خلقه ورزقه ويدبر أمره؛
لزمه الإقرار بتوحيد الألوهية، فإذا كان الله سبحانه وتعالى هو الخالق الرازق النافع
الضار وحده، لزم إفراده بالعبادة.
٢. أَنَّ الْعِبَادَاتِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى التَّوْحِيدِ، فَمَنْ لَمْ يُوْحِدِ اللَّهَ لَا تَصِحَّ عِبَادَتُهُ؛ وَلَا يُوْجِرُ
عليها ولا تبرأ به ذمته.
٣. أَنَّ الشَّرْكَ إِذَا دَخَلَ فِي الْعِبَادَةِ أَفْسَدَهَا، وَأَحْبَطَ الْعَمَلَ.
والفرق بين الشرك الأكبر والأصغر:
أنَّ الشَّرْكَ الْاَكْبَرَ يَحْبُطُ جَمِيعَ الْأَعْمَالِ، وَأَمَّا الشَّرْكَ الْاَصْغَرُ فَإِنَّهُ يَحْبُطُ الْعَمَلَ نَفْسَهُ
إذا خالط العمل.
٤. أَنَّ كُلَّ مُوَحِّدٍ فَهُوَ عَابِدُ اللَّهِ، وَلَيْسَ كُلُّ عَابِدٍ لِلَّهِ يَكُونُ مُوَحِّدًا.
فالعبادة من حيث هي، فهي أعم من كونها توحيدًا عمومًا مطلقًا، فكل موحدٍ
عابد لله، وليس كل من عبد الله يكون موحدًا. (١)



المقدمة الثالثة

قوله رحمه الله: فإذا عرفت أنَّ الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار عرفت أنَّ أهمَّ ما عليك: معرفة ذلك، لعلَّ الله أن يخلِّصك من هذه الشَّبكة، وهي الشرك بالله الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (١١٦) [سورة النساء: ١١٦].

وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه.

قوله رحمه الله: فإذا عرفت أنَّ الشرك إذا خالط العبادة أفسدها:

أي كما عرفت في المقدمة الثانية.

قوله: وأحبط العمل:

حبط العمل أي بطلانه وفساده وعدم قبوله، وذلك بسبب وجود الشرك الذي يفسد الأعمال كما يفسد الخل العسل.

قال الفيروز آبادي:

حَبِطَ عملُه - بكسر الباءِ وفتحها - حَبْطًا وَحُبُوطًا: بطل. وَأَحْبَطَهُ اللهُ: أَبْطَلَهُ. وهو من قولهم: حَبِطَ ماءُ الرِّكْيَةِ إذا ذهبَ ذهاباً لا يعود أبداً. (١)

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٢/ ٤٢٤)

حبوط العمل أي بطلانه وعدم قبوله.

وقال الراغب الأصفهاني:

الحبوط: فساد العمل، وأصله من الحَبَط، أي فساد بطون الماشية من مأكَل

الربيع. (١)

وَحَبَطُ الأَعْمَالِ إزالة آثارها النافعة من ثوابٍ ونعيمٍ في الآخرة، وحياة طيبة في

الدنيا.

ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ

لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة الزمر: ٦٥].

وقوله جلّ في علاه: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأنعام:

٨٨].

قال ابن جرير: "حبطت أعمالهم"، يعني: بطلت أعمالهم "في الدنيا والآخرة".

فأما في الدنيا، فلم ينالوا بها محمداً ولا ثناء من الناس، لأنهم كانوا على ضلال

وباطل، ولم يرفع الله لهم بها ذكراً، بل لعنهم وهتك أستارهم، وأبدى ما كانوا

يخفون من قبائح أعمالهم على ألسن أنبيائه ورسله في كتبه التي أنزلها عليهم، فأبقى

(١) تفسير الراغب الأصفهاني (٢/ ٤٧٩)

لهم ما بقيت الدنيا مذمّةً، فذلك جبوطها في الدنيا. وأما في الآخرة، فإنه أعدّ لهم فيها من العقاب ما وصف في كتابه. اهـ

قال القاضي أبو بكر بن العربي:

الإحباط إحباطان: أحدهما: إبطال الشيء للشيء وإذهابه جملة: كإحباط الإيمان للكفر والكفر للإيمان وذلك في الجهتين إذهاب حقيقي. اهـ

قوله: وصار صاحبه من الخالدين في النار:

أي تحرم الجنة على من أشرك بالله الشرك الأكبر كما قال الله: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ ﴿٧٢﴾ [سورة المائدة: ٧٢].

"وهذه الآية الكريمة في حق غير التائب وأما من تاب من هذا قبل موته فإنه يغفر له الشرك فما دونه.

كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٥٣﴾ [سورة الزمر: ٥٣] أي لمن تاب إليه وأناب". (١)

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ١٨١)

قوله: عَرَفْتَ أَنَّ أَهْمَ مَا عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ:

أي: التوحيد والشرك المناقض له.

قوله: لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ:

يُخَلِّصُكَ مَأْخُوذٌ مِنَ التَّخْلِيفِ، وَخَلَّصَهُ مِنْ كَذَا تَخْلِيصًا أَي: نَجَّاهُ. (١)

والمعنى: لعل الله أن يُنَجِّيكَ.

قوله: مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ:

الشبكة هي شراك الصائد التي يصيد بها في البر والماء.

والمقصد من ذلك التخويف من الشرك، والتحذير منه، والحث على العناية

بالتوحيد والاهتمام به.

وقد شبه الشيخ رحمه الله الشرك بالله بالشبكة، وذلك - والله أعلم - لأنَّ

الشرك بالله أعظمُ شباكٍ ينصبه الشيطان لابن آدم في طريق سيره إلى الله، ويريد أن

يوقعه فيه، ويستدرجه إلى ذلك استدراجًا كما يستدرج الصياد فريسته إلى الشبكة

التي نصبها لها، وذلك من خلال تزيين هذا الفعل ووضع الطُعْم الذي يستدرج به

من أراد إيقاعه في هذا الشراك، كما يفعل الصياد تمامًا حين يضع طُعْمًا في شبكته

لفريسته التي يريد اصطيادها.

(١) مختار الصحاح (١/ ١٩٠)

ولهذا أرشدنا النبي ﷺ إلى أن نقول هذا الدعاء: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ". (١)

قوله: وهي الشرك بالله الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة النساء: ٤٨].

قال ابن كثير:

أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ ﴿لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ أَي: لَا يَغْفِرُ لِعَبْدٍ لَقِيَهُ وَهُوَ مُشْرِكٌ بِهِ ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ أَي: مِنَ الذُّنُوبِ ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أَي: مِنْ عِبَادِهِ. اهـ (٢)

يتلخص من هذه المقدمة:

١. أن الشرك أهم ما يجب على العبد معرفته ليجتنبه.
 ٢. أن خطر الشرك عظيم، وأنه كالشبكة إذا وقع العبد فيه جره إلى حتفه.
 ٣. الرجوع في بيان الشرك إلى الكتاب والسنة.
- فلا سبيل لنا في معرفة التوحيد وسبيل سلوكه، ولا في معرفة الشرك وأنواعه وخطره وطرق النجاة منه؛ إلا بالرجوع إلى الكتاب والسنة.

قال العلامة الفوزان:

(١) (صحيح) رواه البخاري في الأدب المفرد (٧١٦) عن معقل بن يسار، وصححه الألباني في الأدب المفرد (٥٥٤)
 (٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٢٥)

" فالواجب أن نعرف ما هو الشرك من الكتاب والسنة، الله ما حذر من شيء إلا ويبينه، وما أمر بشيء، إلا ويبينه للناس، فهو لم يحرم الشرك ويتركه مجملاً، بل بينه في القرآن العظيم وبينه الرسول ﷺ في السنة، بياناً شافياً، فإذا أردنا أن نعرف ما هو الشرك نرجع إلى الكتاب والسنة حتى نعرف الشرك، ولا نرجع إلى قول فلان وفلان". اهـ (١)



(١) شرح القواعد الأربع (ص: ١٥)

القاعدة الأولى

"أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَءُونَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ، الْمُحْيِي الْمَمِيتُ، الْمُدَبِّرُ لِجَمِيعِ الْأُمُورِ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَدْخُلْهُمْ فِي الْإِسْلَامِ، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [سورة يونس: ٣١]."

قوله: "أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْرَءُونَ بِأَنَّ اللَّهَ

تَعَالَى هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ، الْمُحْيِي الْمَمِيتُ، الْمُدَبِّرُ لِجَمِيعِ الْأُمُورِ:

هذه الأمور المذكورة كلها من خصائص ربوبيته سبحانه وتعالى من الخلق والرزق والملك والتدبير.

فالمشركون الذين بُعِثَ فيهم النبي ﷺ يقرءون بتوحيد الربوبية في الجملة. (١) فهم وإن كانوا مشركين بالله في ألوهيته؛ فإنهم لا يجعلون أحداً من آلهتهم شريكاً لله تعالى في ربوبيته من الخلق والرزق والملك والتدبير والتصريف، وهذه حقيقة لا ينكرها المشركون؛ إلا القليل منهم، ومن أنكرها بلسانه فهو مقرُّ بها في قلبه.

(١) وإنما قيل مقرون به في الجملة، لأن توحيد الربوبية عندهم لم يكن سليماً، بل كان فيه خللٌ وشُرُكياتٌ، ومن ذلك: نسبة المطر للأنواء والكواكب، وينسبون بعض الحوادث للدهر، ومنها إنكار البعث، وغير ذلك.

قال الصنعاني: " وكل مشرك مقر بأن الله خالقه، وخالق السماوات والأرض، وربهن ورب ما فيهما ورازقهم، ولهذا احتج عليهم الرسل بقولهم: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل: ١٧]، وبقولهم: ﴿إِنَّكَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ [سورة الحج: ٧٣]. اهـ (١)

قوله: وَأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الْإِسْلَامِ:

أي أن الإقرار بهذه الأمور التي هي من لوازم توحيد الربوبية لم تدخل هؤلاء المشركين في دائرة الإسلام، ولذلك قاتلهم النبي ﷺ، وأثبت أنهم كفار، فلو كانوا مسلمين بالإقرار بالربوبية لما طالبهم ﷺ بالإسلام ولما قاتلهم، ولعصمت دماؤهم.

وذلك لأن الإسلام الحق يستلزم من العبد أن يوحد الله، توحيداً تاماً بأقسامه الثلاثة وهي: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات. ولأن من أقر بأن الله الخالق الرازق، المحيي المميت، المدبر لجميع الأمور؛ لزمه أن يفرد الله بالعبادة، فتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، ولهذا قرره الله به في كثير من الآيات.

(١) تطهير الاعتقاد (ص ١١).

قوله: والدليل: قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (سورة يونس: ٣١).

هذه الآية جمعت الإقرار من جانب المشركين بأركان توحيد الربوبية، فقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ فيه إثبات الرزق له جل وعلا، وأنه الرازق سبحانه.

وقوله: ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾ فيه إثبات الملك.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ فيه إثبات الخلق.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ فيه إثبات التدبير.

قال ابن كثير في "تفسيره" (٤ / ٢٨١): "يحتج تعالى على المشركين باعترافهم

بوحدانيته وربوبيته على وحدانية إلهيته. اهـ

ومع إقرار المشركون وصناديد الكفرة بهذا، إلا أنه لم يخرجهم من الكفر، ولم يدخلهم في الإسلام.

ولهذا قال لهم سبحانه بعد هذه الايات: ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، أي: أفلا تتقون الله

فتخلصون له العبادة وحده لا شريك له، وتحلعون ما تعبدون من دونه من الأنداد والأوثان.

قال الشنقيطي في أضواء البيان (٢ / ٢٥٣) بعد أن ذكر الآيات السابقة:

"والآيات المذكورة صريحة في أنَّ الاعتراف بربوبيته جل وعلا، لا يكفي في الدخول في دين الإسلام إلا بتحقيق معنى لا إله إلا الله نفياً وإثباتاً". اهـ

"وَهَذَا يَبْطُلُ: مَا يَعْتَقِدُهُ عِبَادُ الْقُبُورِ الْيَوْمَ وَأَشْبَاهُهُمْ مِنْ أَنَّ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ: هُوَ الْإِقْرَارُ بِوُجُودِ اللَّهِ، أَوْ أَنَّهُ هُوَ الْخَالِقُ الْقَادِرُ عَلَى الْإِخْتِرَاعِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ. أَوْ أَنَّ مَعْنَاهَا: لَا حَاكِمِيهِ إِلَّا اللَّهُ، وَيُظَنُّونَ أَنَّ مَنْ اعْتَقَدَ ذَلِكَ وَفَسَّرَ بِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَدْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ الْمُطْلَقَ، وَلَوْ فَعَلَ مَا فَعَلَ مِنْ عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ كَالْإِعْتِقَادِ بِالْأَمْوَاتِ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِمْ بِالذَّبَائِحِ وَالتَّذْذُورِ وَالطَّوَافِ بِقُبُورِهِمْ وَالتَّبَرُّكِ بِتَرْبِهِمْ". (١)

ملخص القاعدة:

١. أن أهل الشرك في الجاهلية كانوا مقرّين بتوحيد الربوبية في الجملة، ويعترفون بأن الله هو الخالق الرازق المدبّر.
٢. أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام ولم يعصم دماءهم.
٣. أن مَنْ أقر بتوحيد الربوبية لزمه الإقرار بتوحيد الألوهية، وإلا كان إقراره بتوحيد الربوبية ناقصاً.
٤. أن توحيد الألوهية هو الذي وقعت فيه الخصومة بين رسل الله وأقوامهم.

(١) مبحث بعنوان حقيقة لا إله إلا الله للعلامة الفوزان، نشر في مجلة البحوث الإسلامية (١٣ / ١٢٢).



قوله رحمه الله: [فإذا عرفت هذه القاعدة، وأشكل عليك كيف أقرؤوا بهذا؛
ثم توجَّهوا إلى غير الله يدعونه، فاعرف القاعدة الثانية].

أي أنَّ بعضهم قد يتعجب حين يعلم أنَّ هؤلاء المشركين كانوا يقرون بتوحيد
الربوبية ثم إنَّهم يصرفون العبادة لغير الله.

ولا عجب، فإنَّ هؤلاء المشركين لهم حجب واهية في صرفهم العبادة لغير الله؛
مع إقرارهم بربوبيته.

فإذا تعرَّف العبد المسلم على شبهتهم في ذلك زال عجبه، وعرف مدى ما هم فيه
من الضلال، وهم ومن شابههم في هذه الحجب.

وهذا ما تبينه القاعدة الثانية التي ذكرها الشيخ رحمه الله.



القاعدة الثانية

أنهم يقولون: ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة عند الله، نريد من الله لا منهم، ولكن بشفاعتهم، فدلّل القربة قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ۝﴾ [سورة الزمر: ٣].

ودليل الشفاعة، قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شَفَعَتُونَا عِنْدَ اللَّهِ ۖ﴾ [سورة يونس: ١٨].

هذه القاعدة يبين فيها الشيخ حجة المشركين في صرف العبادة لغير الله.

وهما أعظم باين ولج منهما أهل الشرك إلى شركهم:

الأول: طلب القربة ممن تصرف له العبادة من دون الله.

الثاني: الشفاعة.

فقوله: أنهم يقولون: ما دعوناهم وتوجهنا إليهم:

أي أنهم يقرون ويعترفون بأنهم توجهوا إلى معبوداتهم من دون الله بالعبادات من دعاءٍ ونذرٍ وذبحٍ؛ إلا أنهم يتحججون بأنهم قصدوا من هذه المعبودات أن ترفع حوائجهم إلى الله تعالى، وتقربهم منه.

قوله: لطلب القربة: هو طلب التوسط عند الغير لرفع المنزلة الأخروية عند الله.

قوله: والشفاعة: هو توسط الشافع لغيره بجلب نفع أو دفع ضرر دنيوي أو أخروي.

نريد من الله لا منهم ولكن بشفاعتهم: أي حاجتنا لا يقضيها إلا الله ولكن هؤلاء لهم منزلة عند الله، فنستشفع بهم عند الله، وهذا أصل شرك العرب.

فدليل القربة: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [سورة الزمر: ٣].

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾:

الأولياء: جمع ولي، وهو النصير والمحِب، والمراد بالأولياء هنا المعبودات التي يوالونها بالعبادة من دون الله؛ ويحبونها ويطلبون نصرتها. وهو يصدق على الأصنام والملائكة وعيسى وكل ما عُبد من دون الله عز وجل فإنما يعتقد من عبده أنه ولي.

فهم يعبدونهم، ويتقربون إليهم، ويطلبون منهم المدد والنصر، ويخافون هؤلاء كخوفهم من الله تعالى.

ويقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] أي: لا نقوم بهذا الذي نقوم به من عباداتٍ إلا ليقربونا إلى الله زلفى أي منزلة، وحظوة، ومكانة.

فهم بزعمهم لا يفعلون ذلك إلا طلباً للحظوة والمكانة عند الله، فجعلوا هؤلاء المخلوقين وسائط ووسائل يتقربون بهم إلى الله سبحانه وتعالى.

قوله: ودليل الشفاعة، قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ

وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [سورة يونس: ١٨].

أي أن المشركين يزعمون أن هذه الأصنام تشفع لهم في الدنيا عند الله، في إصلاح معاشهم، وكشف ما يهمهم، كالقحط؛ لأنهم كانوا لا يعتقدون بعثاً بعد الموت.

فصل:

في هاتين الآيتين بيان واضح أن حجة هؤلاء المشركين أنهم جعلوا هذه المعبودات وسائط بينهم وبين الله عز وجل، وهذا دين المشركين، وهذا عين الشرك بالله عز وجل.

فالعبادات بأنواعها القلبية، والقولية، والعلمية، والمالية حق لله تعالى لا يجوز أن تصرف لغيره سبحانه، فمن صرف شيئاً منها لغير الله فقد وقع في الشرك الأكبر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والذين يدعون مع الله إلهاً آخر مثل المسيح

والملائكة والأصنام لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق أو تنزل المطر أو تنبت

النبات، وإنما كانوا يعبدونهم أو يعبدون قبورهم أو يعبدون صورهم ويقولون: ﴿مَا

نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [سورة الزمر: ٣]، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله،

فبعث الله سبحانه رسله تنهى أن يدعى أحد من دونه، لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة". انتهى

وقال: "من أثبت وسائط بين الله وبين خلقه كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية فهو مشرك، بل هذا دين المشركين عباد الأوثان، كانوا يقولون: إنها تماثيل الأنبياء والصالحين، وأنها وسائل يتقربون بها إلى الله، وهو من الشرك الذي أنكره الله تعالى على النصارى". اهـ

قال الشنقيطي في العذب النмир (٢ / ٢٨٨): "كون الكفار يعلمون أن الله هو النافع الضار، وأن الأصنام جمادات لا تنفع ولا تضر، وأنهم إذا كان وقت الشدائد لجؤوا إلى من بيده الأمر والنهي، هذا يدل على أنهم غير معذورين في عبادة الأوثان". اهـ

ملخص القاعدة:

١. أن اتّخاذ الوسائط والشفعاء هو أصل شرك العرب.
٢. أنهم كانوا يعلمون أنها لا تنفع ولا تضر.
٣. أن من صرف عبادة لغير الله فقد أشرك شركاً أكبر.

من فوائد هذه القاعدة:

هذه القاعدة فيها الرد على القبوريين من عدة وجوه:

١. قولهم: إن كفار قريش إنما عبدوا حجارة فلا يصح تشبيهها بهم.

٢. قولهم: نحن لا نعبد القبور وإنما نستشفع بأصحابها عند الله.

٣. قولهم: نحن لا نعتقد في الصالحين أنهم ينفعون ويضرون.



قال رحمه الله: والشفاعة شفاعتان: شفاعة منفيّة، وشفاعة مثبتة

فالشفاعة المنفيّة: ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ والدليل

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِي يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا

خُلَّةٌ وَلَا شَفَعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ [سورة البقرة: ٢٥٤].

والشفاعة المثبتة: هي التي تُطلب من الله، والشافع مكرّم بالشفاعة، والمشفوع

له من رضي الله قوله وعمله بعد الإذن؛ كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا

بِإِذْنِهِ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥].

قول المصنف: والشفاعة شفاعتان: أي أنّ الشفاعة المذكورة في الكتاب والسنة

نوعان.

قوله: شفاعة منفية: هي التي نفاها الشرع، وهي التي لم تتوافر فيها شروط

الشفاعة.

كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ

وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [سورة يونس: ١٨].

وشفاعة مثبتة: وهي التي أثبتها الله تعالى في كتابه.

قوله: فالشفاعة المنفيّة: ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله:

وهي التي تكون من غير إذن الله، ولا رضاه، وتكون بطلبها ممن لم لا يقدر على ذلك:

والشفاعة على ثلاثة أنواع:

١. الشفاعة التي تُطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

٢. الشفاعة للكفار، والمشرّكين.

٣. الشفاعة بدون إذن الله سبحانه ولا رضاه.

قوله: والدليل قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٤].

نفى سبحانه وتعالى في هذه الآية كل أسباب النجاة والخلاص من العقوبة:

فأولاً: نفى الفداء للنفس، فقال: **لَا بَيْعٌ فِيهِ**، فلا يفتدي الإنسان نفسه.

الثاني: نفى نفع الحبيب والقريب: فقال: **وَلَا خُلَّةٌ**، أي: ليس له حبيب، ولا قريب يلتجئ إليه فيخلصه.

الثالث: نفى الشفيع فقال: **وَلَا شَفْعَةٌ**، أي فلا شفيع يشفع له، وهي الشفاعة المنفية.

فانقطعت سبل النجاة بأجمعها عنهم.

قوله: والشفاعة المثبتة: هي التي تُطلب من الله:

وهي التي توفرت فيها شروط ثلاثة:

الأول: أن تكون لمن كان من أهل التوحيد والإخلاص، وأما المشركون؛ فتكون أعمالهم هباءً منثوراً، فلا شفاعة لهم.

يدل على ذلك قصة إبراهيم مع أبيه آزر، ومع استغفار النبي ﷺ لعمه أبي طالب.

الثاني: إذن الله للشافع، كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥].

الثالث: رضا الرب عن المشفوع له؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ﴾ **أَرْتَضَى** [سورة الأنبياء: ٢٨]؛ أي: رضي قوله وعمله.

يقول ابن القيم: "فالشفاعة التي أبطلها الله شفاعة الشريك، فإنه لا شريك له، والتي أثبتها كشفاعة العبد المأمور الذي لا يشفع ولا يتقدم بين يدي مالكة حتى يأذن له، ويقول: اشفع في فلان، ولهذا كان أسعد الناس بشفاعة سيد الشفعاء يوم القيامة أهل التوحيد الذين جردوا التوحيد وخلصوه من تعلقات الشرك وشوائبه، وهم الذين ارتضى الله سبحانه". اهـ^(١)

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٢٢٠).

فالشفاعة ملك خالص لله تعالى، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ

اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلُوبِهِمْ أُولَئِكَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة الزمر: ٤٣].

وبيان ذلك وتوضيحه هو أن الشفاعة لا تنفع إلا بشرطين الإذن من الله للشافع

بأن يشفع، ورضا الله عن الشافع وعن المشفوع له؛ فرجعت الشفاعة كلها إليه.

ولهذا قال الله سبحانه بعد الآية السابقة: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة الزمر: ٤٤].

قال ابن كثير (١٠٢ / ٧):

"أخبرهم أن الشفاعة لا تنفع عند الله إلا لمن ارتضاه وأذن له، فمرجعها كلها

إليه". اهـ

فافهم هذا فإنه يبين لك ما استشكله كثير من الناس.

قوله: والشافع مكرم بالشفاعة: أي أن الشفاعة فضل من الله يتكرم بها على من

شاء من أهل التوحيد فيأذن لهم بالشفاعة.

قوله: والمشفوع له من رضي الله قوله وعمله بعد الإذن:

قال ابن القيم: "فهذه ثلاثة أصول.. لا شفاعة إلا بإذنه، ولا يأذن إلا لمن رضي

قوله وعمله، ولا يرضى من القول والعمل إلا توحيده واتباع رسوله". (١)

قوله: كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥].

مَنْ هنا استفهام يُقصدُ به النفي، أي لا أحد يشفع إلا بإذنه جل وعلا.

خلاصة الكلام على الشفاعة:

١. أَنَّ الشفاعة كُلُّها لله وحده سبحانه.
 ٢. أَنَّ الشفاعة المثبتة ما طلبت من الله.
 ٣. وَأَنَّ الشفاعة المنفية ما طلبت من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.
 ٤. الفرق بين الشفاعة المثبتة والمنفية.
- أَنَّ الشفاعة المنفية هي التي تطلب بغير إذن الله، أو تطلب لمشرك.
- والشفاعة المثبتة هي التي تكون بعد إذن الله، ولأهل التوحيد.



القاعدة الثالثة

أن النبي صَلَّى الله عليه وسلّم ظهر على أناس متفرّقين في عبادتهم؛ منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، ومنهم من يعبد الشمس والقمر.

وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يُفرق بينهم، والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَنِلُوهُمْ حَقًّا لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ آلِئِنَّ كُلَّهُ لَبَّةً﴾ [سورة الأنفال: ٣٩].

هذه القاعدة العظيمة فيها بيان أن الله سبحانه وتعالى لا يرضى الشرك من أصله بدون النظر عن المُشرك به، فإنه سبحانه لم يرتضِ الشرك، سواءً كان المُشرك به ملكاً، أو نبياً، أو ولياً صالحاً، أو غير ذلك.

فإن الله سبحانه وتعالى حرم الشرك، وأخبر بأنه ظلم عظيم على اختلاف أنواعه وصوره.

قوله: إِنَّ النبي صَلَّى الله عليه وسلّم ظهر على أناس متفرّقين في عبادتهم: أي بعث النبي ﷺ والمشركون ليسوا متفقين على معبود واحد.

قوله: منهم مَنْ يعبد الملائكة، ومنهم مَنْ يعبد الأنبياء والصالحين،
ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، ومنهم مَنْ يعبد الشمس والقمر.
فالشرك لا تفرق فيه بين مَنْ يعبد رجلاً صالحاً أو يعبد صنماً أو حجراً أو شجراً،
لأن الشرك هو: عبادة غير الله كائناً مَنْ كان، ولهذا يقول: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا
تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [سورة النساء: ٣٦].

وكلمة ﴿شَيْئًا﴾ نكرة في سياق النهي تعم كل مَنْ أشرك مع الله عز وجل من
الملائكة والرسل والصالحين والأولياء، والأحجار والأشجار.
وهذا دليل على قبح الشرك أن أصحابه لا يجتمعون على شيء واحد، بخلاف
الموحدين فإن معبودهم واحد، قال سبحانه وتعالى: ﴿يَصَدِّجِي السَّجْنَءَ رَبَّابُ
مُتَفَرِّقَاتٍ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا
أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ
الَّذِينَ أَلْقَيْتُمْ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾.

وهذا يبين لك أن الناس لو تركوا على أهوائهم ولم يؤمروا ولم ينهوا لضلوا ولما
اهتدوا أبداً، قال الله: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ
مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة
القصص: ٥٠].

فكانت حكمة الله في إرسال الرسل وإنزال الكتب لتوجيه الناس إلى عبادة خالقهم، ومع ذلك فإنك تجد بعد بعثة النبي ﷺ ضلّ أقوام وشردوا عن عبادة الله، وصدق الله إذ يقول: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة القصص: ٥٦].

قوله: وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يفرّق بينهم:

أي أنّ النبي ﷺ أمر بقتالهم جميعاً ولم يفرق بين من عبد الملائكة والنبين وبين من عبد الأصنام والأحجار والشجار؛ بل أمره الله عز وجل بقتالهم جميعاً فقال سبحانه: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [سورة الأنفال: ٣٩].

فبين بياناً واضحاً أنّ كل من عبد غير الله سبحانه وتعالى فقد أشرك بالله شركاً أكبر ولو عبد ملكاً أو نبياً.

قال الطبري في تفسير الآية: "وقاتلوا المشركين الذين يقاتلونكم حتى لا يكون شركٌ بالله، وحتى لا يُعبد دونه أحدٌ، وتضمحلّ عبادة الأوثان والآلهة والأنداد، وتكون العبادة والطاعة لله وحده دون غيره من الأصنام والأوثان". اهـ

فاعتبرهم مشركين كلّهم، واستحلّ دماءهم وأموالهم، ولم يفرّق بينهم، سواءً من عبد الملائكة أو المسيح أو عزيزاً أو الأحجار أو الأشجار، فالشرك كله ملّة واحدة.

والسؤال المطروح لماذا لم يُفرّق بين هذه المعبودات؟

الجواب:

لأن مدار العبودية على عبودية القلب، فإذا قام في القلب التنديد والإشراك بالله جل وعلا، فسواء أكان المشرك به صالحاً أو طالحاً، كان نبياً أم لم يكن نبياً، كان شجراً أو كان ملكاً، الأمر واحد؛ لأن القلب يجب أن تكون عبوديته لله وحده، فهذه العبودية من جهة العابد، لا ينظر فيها إلى من توجه إليه، فإن توجه لله الواحد الأحد فهو مخلص موحد، وإن توجه إلى غيره فإنه مشرك مهما كان ذلك الغير. (١)

قوله: والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَنِلُوهُمْ حَقًّا لَا تَكُونُ فِتْنَةً وَيَكُونُ الدِّينُ

كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [سورة الأنفال: ٣٩].

أي الدليل على قتال المشركين من غير تفريق بينهم حسب معبوداتهم.

قوله تعالى: ﴿وَقَنِلُوهُمْ﴾، فهذا عامٌّ لكل المشركين، لم يُستثنَ أحدٌ، ثم قال:

﴿حَقًّا لَا تَكُونُ فِتْنَةً﴾ والفتنة: الشرك، أي: لا يوجد شرك، وهذا عامٌّ؛ أيّ

شركٍ، سواءً الشرك في الأولياء والصالحين، أو بالأحجار، أو بالأشجار، أو بالشمس، أو بالقمر.

(١) شرح القواعد الأربع للشيخ صالح آل الشيخ (ص: ٢٠)

﴿وَيَكُونُ الَّذِينَ كَفَرُوا كُلَّهُم لَكُمْ﴾: أي تكون العبادة والطاعة كلها لله، ليس فيها

شركة لأحد كائنًا مَنْ كان، فلا فرق بين الشرك بالأولياء والصالحين أو بالأشجار أو بالأشجار أو بالشياطين أو غيرهم.

فمن أتى في هذا الزمان، وفرّق، وقال الصالحون إنما هم أولياء، ولهم مقام عند الله، والأنبياء لهم مقام وجاه، فإذا استشفعنا بهم فإن لهم جاه عند الله جل وعلا. رددنا عليه بهذه القاعدة النافعة.

خلاصة القاعدة:

١. أن المشركين اختلفت معبوداتهم في زمن البعثة.
٢. أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتالهم جميعًا.
٣. أن الشرك ملة واحدة، لا يفرق بين من عبد ملكا أو عبد وليا أو عبد صنمًا.
٤. أن مدار العبودية من جهة العابد، فإن توجه بعبادته لله سبحانه فهو مخلص موحد، وإن توجه إلى غيره فإنه مشرك مهما كان ذلك الغير.
٥. أن من قال لا إله إلا الله وهو يدعو غير الله لم تنفعه كحال عباد القبور اليوم يقولون لا إله إلا الله وهم يدعون الموتى ويتقربون إليهم.

فائدة هذه القاعدة:

فيها الرد على القبوريين من وجهين:

١. أنهم فرقوا بين من يدعو الأصنام ومن يدعو الأنبياء والصالحين.

٢. في زعمهم أنَّ تعظيم الصالحين ودعائهم والعكوف لهم والتبرك بهم لا يوصل للشرك.

القاعدة الرابعة

أنَّ مشركي زماننا أغلظ شركا من الأولين، لأن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، ومشركو زماننا شركهم دائما في الرخاء والشدة.

والدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [سورة العنكبوت: ٦٥].

هذه القاعدة ختام القواعد السابقة و متممة لها.

فإنَّك إذا عرفت مما سبق أنَّ من صرف عبادة لغير الله فقد أشرك، اتضح لك حال من وقع في الشرك من أهل هذا الزمان، ممن عظموا الصالحين وبالغوا في تعظيمهم حتى صرفوا كثيرا من العبادات لهم.

كحال عباد القبور الذين يتقربون إلى أهل القبور بالندور والذبح والقرايين، ويتوسلون بهم ويستشفون ويطلبون حاجياتهم، وغير ذلك مما عُرف عنهم.

إلا أنَّ حالهم في دعاء الأموات والاستغاثة بهم؛ يخالف المشركين الأولين في أمرٍ بينه الشيخ في هذه القاعدة.

قوله: أن مشركي زماننا: أي ممن كانوا في زمن الشيخ ومن جاء بعدهم ممن صرفوا العبادات لغير الله.

قوله: أغلظ شركاً من الأولين: غَلِظَ الشَّيْءُ غَلِظًا فهو غَلِيظٌ أي شديد، يقال:

أَمَرْتُ غَلِيظًا: أي شديد. (١)

فيكون معنى أغلظ شركًا: أي أشد وأعظم شركاً من الأولين.

وقوله: أغلظ شرًا: أي في جانب الشرك بالله هم أشد ممن قبلهم ولا يستلزم

مشابھتهم لهم من كل وجه.

فقيّد الموازنة هنا في الشرك، وليست في كل ما كان عليه أهل الجاهلية، فقد كانت

عندهم أشياء ليست عند مشركي هذا الزمان، فقد كان أهل الجاهلية يئدون البنات،

ويزنون، ولا يحرّمون الحرام، ولا يحلون الحلال، ويفعلون ما يفعلون من جاهلية

جهلاء، وهي ليست في مشركي هذا الزمان، فلهذا قال: أغلظ شرًا.

ثم وضح مقالته وبينها بذكر ما عليه الأولون والمتأخرون.

قوله: لأن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة:

أي أنّ المشركين الذين ظهر عليهم النبي ﷺ كانوا يشركون في الرخاء، فيدعون

الأصنام والأحجار والأشجار، أما إذا وقعوا في شدة وأشرفوا على الهلاك فإنهم لا

يدعون صنمًا ولا شجرًا ولا حجرًا؛ وإنما يدعون الله وحده سبحانه وتعالى وذلك

لعلمهم أنّه لا يُنقذ من الشدائد إلا الله.

والأدلة على ذلك من كتاب الله كثيرة منها ما ذكره المصنف.

ومنها قوله سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً

لَئِنْ أُنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ [سورة الأنعام: ٦٣].

قال القرطبي: ﴿لَئِنْ أُنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ﴾ أي من هذه الشدائد ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾

أي من الطائعين. فوبخهم الله في دعائهم إياه عند الشدائد، وهم يدعون معه في

حال الرخاء غيره بقوله: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ [سورة الأنعام: ٦٤]. اهـ^(١)

وقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلِيلِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا بَجَّاهُمْ

إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ [سورة لقمان:

٣٢].

وقوله: ﴿فَلَمَّا بَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَاهُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ [سورة العنكبوت: ٦٥].

وقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ

وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ [سورة الإسراء: ٦٧].

قال ابن كثير: يُخْبِرُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّ النَّاسَ إِذَا مَسَّهُمْ ضُرٌّ دَعَوْهُ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ مُخْلِصِينَ

لَهُ الدِّينَ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ أي ذَهَبَ

عَنْ قُلُوبِكُمْ كُلِّ مَا تَعْبُدُونَ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا اتَّفَقَ لِعِكْرَمَةِ بْنِ أَبِي جَهْلٍ لَمَّا ذَهَبَ فَأَرَا

مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ فَتَحَ مَكَّةَ فَذَهَبَ هَارِبًا فَرَكِبَ فِي الْبَحْرِ

لِيَدْخُلَ الْحَبْشَةَ فَجَاءَتْهُمْ رِيحٌ عَاصِفٌ فَقَالَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إِنَّهُ لَا يُغْنِي عَنْكُمْ

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/ ٨)

إِلَّا أَنْ تَدْعُو اللَّهَ وَحْدَهُ فَقَالَ عِزْمَةٌ فِي نَفْسِهِ وَاللَّهُ إِنْ كَانَ لَا يَنْفَعُ فِي الْبَحْرِ غَيْرُهُ فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُ فِي الْبَرِّ غَيْرُهُ اللَّهُمَّ لَكَ عَلَيَّ عَهْدٌ لَنْ أَخْرَجْتَنِي مِنْهُ لِأَذْهَبَنَّ فَلَا ضَعْفَ يَدِي فِي يَدِ مُحَمَّدٍ فَلَا جِدَّةَ رُءُوفًا رَحِيمًا فَخَرَجُوا مِنَ الْبَحْرِ فَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمَ وَحَسَنَ إِسْلَامَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ أَيَّ نَسِيتُمْ مَا عَرَفْتُمْ مِنْ تَوْحِيدِهِ فِي الْبَحْرِ وَأَعْرَضْتُمْ عَنْ دُعَائِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ " ". اهـ

قوله: ومشركو زماننا شركهم دائم في الرخاء والشدة.

يعني: المتأخرين الذين حدث فيهم الشرك من هذه الأمة المحمدية؛ فإن شركهم دائم في الرخاء والشدة، لا يُخلصون لله لا في الرخاء ولا حتى في حال الشدة، بل كلما اشتد بهم الأمر اشتد شركهم وضلالهم، ودعوا غير الله واستغاثوا بهم كالبدوي والحسين وابن علوان والعيدروس وغيرهم. ويطلبون منهم ما لا يقدر عليه إلا الله، كالرزق وشفاء المرضى وفك الكروب وتفريج الشدائد، وغير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى. وهذا يدل على عظيم جهلهم بما هو حق خالص لله؛ لا يجوز صرفه لغيره سبحانه من العبادات وسائر الطاعات.

خلاصة القاعدة:

١. أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا من وجهين:

الأول: أن الأولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله إلا في الرخاء وأما في الشدة فيخلصون لله العباد، ومشركو زماننا شركهم دائم في الرخاء والشدة.

الثاني: أن الأولين يعبدون أناساً صالحين من الملائكة والأنبياء والأولياء، أما هؤلاء فيعبدون أناساً من أفجر الناس، كالحلاج، وابن عربي، والرفاعي، والبدوي وغيرهم.

فالذين يسمّونهم الأقطاب والأغواث لا يصلّون، ولا يصومون، ولا يتنزّهون عن الزنا واللواط والفاحشة، لأنهم بزعمهم ليس عليهم تكاليف، فليس عليهم حرام ولا حلال، إنما هذا للعوام فقط. وهم يعترفون أن سادتهم لا يصلّون ولا يصومون، وأنهم لا يتورّعون عن فاحشة، ومع هذا يعبدونهم،

٢. أن مشركي زماننا أشدّ جهلاً من مشركي الزمان الأول.

فإن أولئك قال لهم النبي ﷺ: قولوا لا إله إلا الله، فقالوا: أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب.

وأما مشركو زماننا فيقولون: لا إله إلا الله؛ وهم يشركون مع الله غيره؛ فما اشد جهلهم بمعناها.

فإن معنى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ومقتضاها: إِفْرَادُ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ وَتَرْكُ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ، وَأَنَّ معنى إِلَهِ هُوَ المألوه: أي المعبود فإذا قَالَ الْعَبْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ: فقد أعلن وجوب إِفْرَادِ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ وَبَطْلَانَ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْقُبُورِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ.

ولا يَنْتَفِعُ الْإِنْسَانُ بِقَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا حَقَّقَ أَرْكَانَهَا وَشُرُوطَهَا، وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ، ولم يرتكب ناقضاً من نواقضها.

والله الموفق والهادي إلى سواء الصراط



خلاصة القواعد الأربع

١. أنه بمعرفة هذه القواعد يستطيع طالب العلم معرفة التوحيد من الشرك، والتفريق بين الموحدين والمشركون.

٢. أن الإقرار بتوحيد الربوبية؛ مع صرف العبادة لغير الله لا ينجي العبد من النار ولا يدخله الجنة، بل هذا هو ما كان عليه المشركون في الزمان الأول وفي زماننا هذا، إلا أن أولئك أبوا أن يقولوا لا إله إلا الله لمعرفتهم بمعناها، وهؤلاء أشركوا بالله وهم يقولون لا إله إلا الله؛ وذلك لجهلهم بمعناها، ففارقوا المشركين الأولين من هذه الجهة.

٣. أن حجة المشركين في كل زمان ومكان بأنهم ما عبدوا الصالحين إلا ليشفَعوا لهم عند الله.

٤. أن النبي صلى الله عليه وسلم قاتل المشركين على اختلاف معبوداتهم.

٥. أن شرك المتأخرين أعظم وأشد من شرك المتقدمين وذلك لشدة جهلهم.

والله أعلى وأعلم

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن استن بسنته واتبع هداة.

والحمد لله رب العالمين.

كان الفراغ منه صبيحة يوم الاثنين الخامس والعشرين من شهر جمادى الأولى لسنة أربعة

وأربعين وأربعمائة وألف للهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم



أسئلة عامة

١. س: ما المقصود بالقاعدة الأولى في القواعد الأربع؟
 ج: المقصود بها أن الكفار الذين قاتلهم النبي ﷺ كانوا يقرون بأن الله هو الخالق الرازق المدبر، ومع ذلك لم يدخلهم ذلك في الإسلام.
٢. س: ما الدليل من القرآن على أن المشركين كانوا يقرون بربوبية الله؟
 ج: قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ... فَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾.
٣. س: لماذا لم يدخل المشركون في الإسلام مع إقرارهم بأن الله هو الخالق؟
 ج: لأنهم لم يفرّدوا الله بالعبادة، بل عبدوا معه غيره.
٤. س: ما معنى قول المشركين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾؟
 ج: أي أنهم لم يزعموا أن معبوداتهم تخلق أو ترزق، وإنما قالوا: نعبدّها لتقربنا إلى الله وتشفع لنا عنده.
٥. س: ما الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية؟
 ج: توحيد الربوبية هو إفراد الله بأفعاله كالخلق والرزق والتدبير، وتوحيد الألوهية هو إفراد الله بأفعال العباد كالعبادة والدعاء والذبح والنذر.
٦. س: كيف تبطل القاعدة الثانية شبهة الوسائط بين العبد وربّه؟
 ج: لأنها تبين أن اتخاذ الوسائط في الدعاء هو نفس قول المشركين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾.

٧. س: ما معنى الشفاعة التي كان يطلبها المشركون من معبوداتهم؟

ج: أنهم يطلبون من معبوداتهم أن تشفع لهم عند الله وتقربهم إليه.

٨. س: ما الدليل على أن الدعاء عبادة؟

ج: قول النبي ﷺ: ﴿الدعاء هو العبادة﴾.

٩. س: لماذا عُدَّ دعاء غير الله شركاً؟

ج: لأن الدعاء عبادة، وصرف العبادة لغير الله شرك بالله.

١٠. س: ما المقصود بالقاعدة الثالثة؟

ج: أن النبي ﷺ ظهر على أناس متفرقين في عباداتهم؛ منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء، ومنهم من يعبد الصالحين، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، فقاتلهم جميعاً ولم يفرق بينهم.

١١. س: اذكر مثلاً لمن كان يعبد الملائكة من المشركين.

ج: بعض مشركي العرب كانوا يعبدون الملائكة ويقولون إنهم بنات الله.

١٢. س: ما الدليل على أن بعض المشركين كانوا يعبدون الأنبياء؟

ج: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

١٣. س: كيف ترد القاعدة الثالثة على من يقول: نحن لا نعبد الأصنام؟

ج: بأن الشرك لا يختص بعبادة الأصنام، بل كل من صرف عبادة لغير الله فقد أشرك.

١٤. س: ما المقصود بعبادة الصالحين؟
- ج: دعاؤهم أو الاستغاثة بهم أو الذبح والنذر لهم.
١٥. س: لماذا قاتل النبي ﷺ جميع أصناف المشركين؟
- ج: لأنهم جميعاً صرفوا العبادة لغير الله فوقعوا في الشرك.
١٦. س: ما المقصود بالقاعدة الرابعة؟
- ج: أن شرك المتأخرين أعظم من شرك الأولين.
١٧. س: ما الدليل على أن المشركين كانوا يخلصون الدعاء لله في الشدة؟
- ج: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾.
١٨. س: لماذا كان شرك المتأخرين أعظم من شرك الأولين؟
- ج: لأنهم يشركون في الرخاء والشدة جميعاً.
١٩. س: ما الفرق بين حال المشركين الأولين في الرخاء والشدة؟
- ج: أنهم كانوا يشركون في الرخاء ويخلصون لله في الشدة.
٢٠. س: ما علاقة القواعد الأربع بفهم حقيقة الشرك؟
- ج: أنها تبين حقيقة الشرك الذي وقع فيه المشركون وتكشف شبهاتهم.
٢١. س: كيف ترد القواعد الأربع على من يطلب المدد من الأموات؟
- ج: بأن طلب المدد منهم دعاء لغير الله، وهو من فعل المشركين.
٢٢. س: كيف تبين القواعد الأربع بطلان دعاء القبور؟
- ج: لأنها تبين أن دعاء غير الله هو نفس فعل المشركين الأولين.

٢٣. س: ما العلاقة بين القواعد الأربع وتوحيد العبادة؟

ج: أنها تشرح معنى توحيد العبادة وتبين ضده وهو الشرك.

٢٤. س: ما الحكمة من تعلم القواعد الأربع؟

ج: لمعرفة حقيقة التوحيد والشرك والرد على شبهات المشركين.

٢٥. س: كيف تستدل بالقاعدة الأولى على بطلان دعوى من يقول: نحن موحدون

لأننا نقر بأن الله هو الخالق؟

ج: لأن المشركين كانوا يقرون بذلك ومع ذلك كانوا مشركين.

٢٦. س: كيف ترد بالقاعدة الثانية على من يطلب الشفاعة من الأموات؟

ج: بأن المشركين قالوا: ﴿هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾.

٢٧. س: كيف تبين بالقاعدة الثالثة أن الشرك لا يختص بعبادة الأصنام؟

ج: لأن النبي ﷺ قاتل من عبد الأنبياء والصالحين كما قاتل من عبد الأصنام.

٢٨. س: كيف تستدل بالقاعدة الرابعة على ضلال من يستغيث بالأموات في

الشدائد؟

ج: لأن المشركين الأولين كانوا يخلصون لله في الشدة، أما هؤلاء فيشركون في الشدة.

٢٩. س: ما أعظم ثمرة لفهم القواعد الأربع؟

ج: معرفة حقيقة التوحيد والشرك والقدرة على الرد على شبهات المشركين.

٣٠. س: لماذا كان تعلم القواعد الأربع مهماً لطالب العلم؟

ج: لأنه يحصنه من الشرك ويبين له دعوة الرسل عليهم السلام.

أُسْئَلَةُ تَطْبِيقِ الْقَوَاعِدِ

١. س: من قال: نحن نعلم أن الله هو الخالق الرازق المدبر، ولكننا نتقرب إلى الله بدعاء الأولياء والصالحين، فبأي قاعدة يُرد عليه؟

ج: يُرد عليه بالقاعدة الأولى؛ لأن المشركين الذين قاتلهم النبي ﷺ كانوا يقولون بأن الله هو الخالق الرازق المدبر، ومع ذلك لم يدخلهم ذلك في الإسلام.

٢. س: من قال: نحن لا نعبد الأولياء وإنما نجعلهم وسائط بيننا وبين الله، فما الجواب؟

ج: الجواب القاعدة الثانية؛ لأن المشركين قالوا: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾.

٣. س: من قال: نحن لا نطلب من الأولياء إلا الشفاعة عند الله، فما الرد؟

ج: الرد بالقاعدة الثانية؛ لأن المشركين قالوا: ﴿هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾.

٤. س: من قال: نحن لا نعبد الأصنام بل نتقرب إلى الأنبياء والصالحين فقط، فما الرد؟

ج: الرد بالقاعدة الثالثة؛ لأن النبي ﷺ قاتل من عبد الأنبياء والصالحين كما قاتل من عبد الأصنام.

٥. س: من قال: نحن نستغيث بالأولياء في الرخاء والشدة جميعاً، فما الرد؟

ج: الرد بالقاعدة الرابعة؛ لأن المشركين الأولين كانوا يخلصون لله في الشدة.

٦. س: من قال: نحن لا نعتقد أن الولي يخلق أو يرزق وإنما الله هو الخالق وحده،

فما الرد؟

ج: الرد بالقاعدة الأولى؛ لأن المشركين كانوا يقرون بأن الله هو الخالق الرازق.

٧. س: من قال: نحن نقصد القبور لنطلب البركة من أصحابها، فما الرد؟

ج: الرد بالقاعدة الثانية؛ لأن هذا من اتخاذ الوسائط التي يتقرب بها إلى الله.

٨. س: من قال: نحن نذبح عند القبور تعظيمًا لأصحابها لا عبادة لهم، فما الرد؟

ج: الرد بالقاعدة الثالثة؛ لأن الذبح عبادة لا تصرف إلا لله.

٩. س: من قال: نحن ننذر للأولياء طلبًا لقضاء الحاجات، فما الرد؟

ج: الرد بالقاعدة الثالثة؛ لأن النذر عبادة.

١٠. س: من قال: نحن نقول يا فلان أغثني عند الشدائد، فما الرد؟

ج: الرد بالقاعدة الثانية؛ لأن الدعاء عبادة وصرفها لغير الله شرك.

١١. س: من قال: نحن لا نعبد الولي وإنما نحبه ونتقرب إلى الله به، فما الرد؟

ج: الرد بالقاعدة الثانية؛ لأن المشركين قالوا إنهم يتقربون إلى الله بمعبوداتهم.

١٢. س: من قال: نحن نتبرك بالأشجار والأحجار فقط، فما الرد؟

ج: الرد بالقاعدة الثالثة؛ ودليله حديث ذات أنواط.

١٣. س: من قال: نحن نطلب المدد من الأولياء لأنهم مقربون عند الله، فما الرد؟

ج: الرد بالقاعدة الثانية؛ لأن المشركين جعلوا معبوداتهم وسائط.

١٤. س: من قال: نحن لا نسجد للأولياء وإنما ندعوهم فقط، فما الرد؟

ج: الرد بالقاعدة الثانية؛ لأن الدعاء عبادة.

١٥. س: من قال: نحن ندعو الأولياء لأنهم أحياء في قبورهم، فما الرد؟

ج: الرد بالقاعدة الثانية؛ لأن المشركين إنما دعوا معبوداتهم للشفاعة والقربة.

١٦. س: من قال: نحن نستغيث بالأولياء إذا وقع بنا كرب شديد، فما الرد؟

ج: الرد بالقاعدة الرابعة.

١٧. س: من قال: نحن نتقرب إلى الله بالأولياء لأنهم أقرب منا إلى الله، فما الرد؟

ج: الرد بالقاعدة الثانية.

١٨. س: من قال: نحن نعتقد أن الولي سبب فقط في قضاء الحاجات، فما الرد؟

ج: الرد بالقاعدة الثانية؛ لأن المشركين جعلوا معبوداتهم أسباباً ووسائط.

١٩. س: من قال: نحن لا نشرك بالله لأننا نعلم أن الله هو المدبر للكون، فما الرد؟

ج: الرد بالقاعدة الأولى.

٢٠. س: من قال: نحن نعتقد أن الأولياء ينفعون ويضرون بإذن الله، فما الرد؟

ج: الرد بالقاعدة الثانية.

٢١. س: من قال: نحن نذهب إلى الأضرحة للدعاء عندها لأنها أماكن مباركة، فما

الرد؟

ج: الرد بالقاعدة الثانية.

٢٢. س: من قال: نحن لا نعبد إلا الله لكننا نتوسل بالأموات، فما الرد؟

ج: الرد بالقاعدة الثانية.

٢٣. س: من قال: نحن نطلب من الأولياء قضاء الحاجات لأنهم أقرب إلى الله منا،

فما الرد؟

ج: الرد بالقاعدة الثانية.

٢٤. س: من قال: نحن لا نشرك لأننا لا نعبد الشمس ولا الأصنام، فما الرد؟

ج: الرد بالقاعدة الثالثة؛ لأن الشرك يكون بعبادة غير الله مطلقاً.

٢٥. س: من قال: نحن نعتقد أن الأولياء يشفعون لنا عند الله، فما الرد؟

ج: الرد بالقاعدة الثانية.

٢٦. س: من قال: نحن نطلب الغوث من الأموات عند المصائب، فما الرد؟

ج: الرد بالقاعدة الرابعة.

٢٧. س: من قال: نحن لا نقصد عبادة الولي وإنما قضاء الحاجة فقط، فما الرد؟

ج: الرد بالقاعدة الثانية.

٢٨. س: من قال: نحن ندعو الأولياء لأنهم يسمعون دعاءنا، فما الرد؟

ج: الرد بالقاعدة الثانية.

٢٩. س: من قال: نحن نعتقد أن الولي يقربنا إلى الله، فما الرد؟

ج: الرد بالقاعدة الثانية.

٣٠. س: ما أعظم فائدة من القواعد الأربع؟

ج: معرفة حقيقة شرك المشركين والقدرة على الرد على شبهاتهم في كل زمان.

جدول المحتويات

٢	المُقَدِّمَةُ
٢	أَمَّا بَعْدُ:
٤	بسم الله الرحمن الرحيم
٤	القواعد الأربع
٤	القواعد:
٤	وفي الاصطلاح:
٥	قوله: بسم الله الرحمن الرحيم:
٦	قوله: أسأل الله الكريم ربَّ العرش العظيم أن يتولَّاكَ في الدنيا والآخرة:
٦	قوله يتولَّاكَ:
٧	قوله: وأن يجعلك مبارَكًا أينما كنت:
	وقوله: وأن يجعلك ممَّن إذا أُعْطِيَ شكر، وإذا ابتُلِيَ صبر، وإذا أذنب استغفر، فإنَّ هؤلاء الثلاث عنوان
٧	السعادة:
٨	والصبر يكون على ثلاثة أمور:
٩	المقدمة الأولى
٩	قوله: اعلم أرشدك الله:
٩	قوله: لطاعته:
١٠	قوله: أن الحنيفية ملَّة إبراهيم:
١٠	وهذه الملة تقوم على أصلين عظيمين:
١٠	فقوله: أن تعبد الله:
١١	وقوله: مخلصًا له الدين:
١١	قوله: كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٦١﴾:
١٢	يتلخص الكلام من هذه المقدمة:
١٢	المقدمة الثانية
١٣	قوله: فإذا عرفت:

- ١٣ قوله: فاعلم: أنَّ العبادة لا تسمَّى عبادة إلا مع التوحيد:
- ١٥ قوله: كما أنَّ الصلاة لا تسمَّى صلاة إلى مع الطهارة:
- ١٦ قوله: فإذا دخل الشرك في العبادة فسدَّت:
- ١٦ فالشرك شركان:
- ١٦ قوله: كالحدِّث إذا دخل في الطهارة:
- ١٧ يتلخص الكلام من هذه المقدمة:
- ١٨ المقدمة الثالثة:
- ١٨ قوله رحمه الله: فإذا عرفت أنَّ الشرك إذا خالط العبادة أفسدها:
- ١٨ قوله: وأحبط العمل:
- ٢٠ قوله: وصار صاحبه من الخالدين في النار:
- ٢١ قوله: عَرَفْتُ أنَّ أهم ما عليك معرفة ذلك:
- ٢١ قوله: لعل الله أن يُخَلِّصَكَ:
- ٢١ قوله: من هذه الشُّبْكَةُ:
- قوله: وهي الشرك بالله الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة النساء: ٤٨].
- ٢٢ يتلخص من هذه المقدمة:
- ٢٣ القاعدة الأولى:
- قوله: " أنْ تَعْلَمَ أنَّ الكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْرُونَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ، الْمُحْيِي الْمَمِيتُ، الْمَدَبِّرُ لِجَمِيعِ الْأُمُورِ:
- ٢٤ قوله: وأنَّ ذلك لم يُدْخِلْهُم في الإسلام:
- ٢٦ قوله: والدليل: قوله تعالى:
- ٢٧ ملخص القاعدة:

- قوله رحمه الله: [إذا عرفت هذه القاعدة، وأشكل عليك كيف أقرؤوا بهذا؛ ثم توجّهوا إلى غير الله يدعونه، فاعرف القاعدة الثانية]. ٢٨
- القاعدة الثانية ٣٠
- فقوله: أنهم يقولون: ما دعوناهم وتوجّهنا إليهم: ٣٠
- قوله: لطلب القرية: ٣١
- قوله: والشفاعة: ٣١
- نريد من الله لا منهم ولكن بشفاعتهم: ٣١
- فدليل القرية: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [سورة الزمر: ٣] .. ٣١
- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾: ٣١
- قوله: ودليل الشفاعة، قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴿[سورة يونس: ١٨]. ٣٢
- فصل: ٣٢
- ملخص القاعدة:** ٣٣
- قول المصنف: والشفاعة شفاعتان: ٣٥
- قوله: شفاعة منفية: ٣٥
- كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴿[سورة يونس: ١٨]. ٣٥
- وشفاعة مثبتة: ٣٥
- قوله: فالشفاعة المنفية: ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله: ٣٦
- والشفاعة على ثلاثة أنواع: ٣٦
- قوله: والدليل قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٍ وَلَا شَفِيعَةٍ﴾ ٣٦
- وَالْكَافِرُونَ هُمْ الظَّالِمُونَ ﴿[سورة البقرة: ٢٥٤]. ٣٦

قوله: والشفاعة المثبتة: هي التي تُطلب من الله: ٣٧

قوله: والشافع مكرّم بالشفاعة: ٣٨

قوله: والمشفوع له من رضى الله قوله وعمله بعد الإذن: ٣٨

قوله: كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥]. ٣٩

خلاصة الكلام على الشفاعة: ٣٩

القاعدة الثالثة ٤٠

قوله: إنّ النبي صلى الله عليه وسلم ظهر على أناس متفرقين في عبادتهم: ٤٠

قوله: منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار،

ومنهم من يعبد الشمس والقمر. ٤١

قوله: وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يفرق بينهم: ٤٢

والسؤال المطروح لماذا لم يفرق بين هذه العبادات؟ ٤٣

قوله: والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَنَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا كَلْفًا لِلَّهِ﴾ [سورة الأنفال: ٤٣]

خلاصة القاعدة: ٤٤

فائدة هذه القاعدة: ٤٤

القاعدة الرابعة ٤٦

قوله: أن مشركي زماننا: ٤٦

قوله: أغلظ شركا من الأولين: ٤٧

وقوله: أغلظ شركا: ٤٧

قوله: لأن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة: ٤٧

قوله: ومشركو زماننا شركهم دائم في الرخاء والشدة. ٤٩

خلاصة القاعدة: ٥٠

خلاصة القواعد الأربع ٥٢